الجاسوس الأشهر في تاريخ اسرائيل

اسمه ماركوس كلينبرغ. عمره اليوم ٨٤ سنة، أمضى منها ١٨ سنة في خدمة الاستخبارات الروسية. و١٥ سنة في السجن الاسرائيلي. اعتقل عندما كان عمره ٦٥ سنة. وما زال يعتبر اكبر جاسوس في التاريخ الاسرائيلي. قصته تعتبر نجاحاً هائلاً للاستخبارات الروسية، وفشلاً ذريعاً للجهاز الامني الاسرائيلي بكل فروعه.

ولد ماركوس في بولونيا سنة ١٩١٩، وعمل في الاجهزة الطبية البولونية، لكنه هرب من النازية الى روسيا رافضاً «البقاء والمقاومة» كما اراد والده. وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها اكتشف ان جميع افراد عائلته، الأب والأم والاشقاء والاعمام والاخوال والاجداد، قتلوا في معسكرات الابادة، كونهم يهوداً. واحتضنه الاتحاد السوفياتي مثل كثيرين غيره من الهاربين المنكوبين. وجنّدوه في الجيش الاحمر، ضمن الجهاز الطبي. وحصل على درجة مقدم.

في سنة ١٩٤٨ هاجر كلينبرغ الى اسرائيل، واستوعب في الجيش بالدرجة العسكرية العالية نفسها، وتولى مسؤولية طاقم طبي عسكري. وفي سنة ١٩٥٢ تم تسريحه من الجيش ونقله للعمل مع زوجته الباحثة الطبية في مصانع نس – تسيونه لانتاج السلاح الكيماوي.

وتدرج كلينبرغ في سلم الترقيات حتى أصبح نائباً لمدير المصانع ومسؤولاً اول عن اجازة الابحاث العلمية للنشر، وبذلك اصبح حامل جميع الاسرار في هذه المصانع. وهي اسرار كبيرة وخطيرة ليس فقط على الصعيد الاسرائيلي والشرق الأوسطي بل الدولي ايضاً. فقد زودت هذه المصانع الولايات المتحدة بالابحاث وبالانتاج ايضاً.

قصة خدمة كلينبرغ للاستخبارات الروسية بدأت سنة ١٩٥٧، وبالصدفة. فقد قررت ادارة معهد الابحاث التابع لمصانع نس – تسيونه ترقيته في العمل. وطلبوا منه تزويدهم بشهاداته العلمية كعملية اجرائية عادية. فاخبرهم انه اضاع الوثائق التي يملكها خلال هجرته من بولونيا ابان الحرب، وكذلك حصل لبقية الوثائق التي حصل عليها من روسيا، عندما هاجر لاسرائيل. فطلبوا منه ان يحاول الحصول على نسخة منها لأن الامر ضروري حسب نظام المعهد. فتوجه الى الملحق العلمي في السفارة الروسية في تل ابيب حيث وعدوه بمساعدته.

وبعد فترة جاء الجواب من موسكو يقول ان كلينبرغ لم ينه تعليمه الجامعي في الطب، وعملياً لا يعتبر طبيباً فقد داهمته الحرب وهو في السنة قبل الاخيرة من التعليم. وكانت الاستخبارات الروسية انشأت دائرة كبيرة داخل السفارة في تل ابيب، تم تركيز وتوجيه

كلينبرغ عند اطلاق سراحه مع حفيده.

نشاط الجواسيس الاسرائيليين فيها. فتلقفوا هذه المعلومات واستدعوا كلينبرغ وابلغوه وه بالفضيحة. فراح يبكي بمرارة. فاستغلوا حالته وعرضوا عليه ان يخدم الاستخبارات في مقابل منحه شهادة جامعية كاملة. فوافق على ذلك بسرعة ويحماس.

وخلال التحقيق معه في الاستخبارات الاسرائيلية بعد ١٨ عاماً قال انه اعتبر هذا العرض بمثابة انقاذ ثان لحياته، المرة الاولى عندما انتصر الجيش الاحمر على النازية، والثانية عندما تكتموا عليه. لكنه قال إنه لم يتجند للاستخبارات الروسية فقط بسبب هذا العرض، «فانا سددت لهم هذا الدين كوني ابلغتهم انني سأعمل في خدمتهم مجاناً. ولن اقبض منهم اي مليم». وروى انه وافق على العرض لسببين: اولاً، كنوع من رد الجميل للسوفيات الذين دفعوا ثمناً باهظاً (٢٠ مليون شخص قتلوا خلال الحرب العالمية الثانية من الاتحاد السوفياتي وحده) من اجل انقاذ البشرية عموماً واليهود خصوصاً من النازية. وثانياً، لأنه آمن بان وجود الاتحاد السوفياتي قوياً، يمتلك الاسلحة النووية والكيماوية، ضرورة ملحة للبشرية «فلا يعقل ان تنفرد الولايات المتحدة بهذه الطاقات وحدها. لأن ذلك يهدد أمن العالم أجمع. فإذا كان الروس يملكون الاسلحة نفسها، فإن ذلك يؤدي الى توازن دولي. وهذا التوازن هو الضمانة للسلام العالمي».

وهكذا، وجد كلينبرغ لنفسه المبرر الايديولوجي لخدمة الاستخبارات السوفياتية. وبمثل هذا المبرر لا تعود هناك حدود للعطاء. لذلك قام بنقل كل ما حصل عليه من معلومات، وعملياً كل الاسرار.

والطريف ان الاستخبارات الاسرائيلية شكت فيه ثلاث مرات. فاستدعته للتحقيق من دون اي نتيجة، فهو رجل يتمتع بهدوء أعصاب يصعب تصوره.وفي المرة الثالثة وصلت معلومات موثوقة وثابتة ضده. فاعتقلوه لفترة طويلة. وصمد في التحقيق حتى اللحظة الاخيرة واقنع المحكمة بانه بريء. فرفضت تمديد اعتقاله لمدة طويلة كما طلبت النيابة، ومددت اعتقاله لمدة اسبوع واحد فقط. وراح المحققون يهددونه ويشتمونه ويقولون له انه خائن ويحمّلونه مسؤولية النازية وغيرها وغيرها. لكنه لم يرضخ. وفي الساعات الاخيرة قبل حلول موعد اطلاق سراحه، قرر ان يعترف. فاستدعى بنفسه المحقق ليلاً. وقال له: «سجّل». وراح يروي قصة التجسس من أولها. فكان اعترافه بمثابة وثيقة إدانة. وحكم عليه بالسجن المؤبد الذي تحول لاحقاً الى ٢٠ عاماً، امضى ثلثيها في السجن والثلث الاخير اعفي منه. واطلق سراحه. وهو يعيش حراً اليوم.